

الاستشراق (مراحله، وسائله، وأهدافه)

كلية الشريعة والقانون- جامعة دنقلا

د. شوقي عبد المجيد عبيدي

المستخلص:

الاستشراق، هو دراسة كافة البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربي، وتستخدم كلمة الاستشراق، أيضاً لتدليل تقليد أو تصوير جانب من (الحضارات) الشرقية لدى الرواة والفنانين في الغرب. المعنى الأخير هو معنى مهممل ونادر استخدامه، والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر. لذلك صارت كلمة الاستشراق، تدل على المفهوم السلبي وتنطوي على التفاسير المضرة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين. وجهة النظر هذه مبيّنة في كتاب إدوارد سعيد (الاستشراق) المنشور سنة (1978). أن أهمية الموضوع تنبع من خلال معالجته لنماذج استشراقية في تناولهم وعبر مقارنتها بالرؤية الإسلامية؛ والتركيز للتصدي لعملية الاستلاب الفكري التي تتعرض له الأمة المسلمة وكذا التصدي لعملية الغزو الثقافي في المجال التاريخي. إن مشكلة البحث تتلخص في سؤال رئيسي يعقبه أسئلة فرعية علي النحو الآتي : ماذا نعني بالاستشراق؟ ماهي وسائله ومراحله وأهدافه أن المنهج الذي يتبعه الباحث في كتابة هذا البحث هو المنهج التحليلي والمقارن .

Abstract

Orientalism is the study of all the cultural structures of the East from a Western point of view . The most common use is the study of the East in the colonial era between the 18th and 19th centuries. Therefore, the word orientalism became indicative of the negative concept and involved the harmful and ancient interpretations of eastern. civilizations and eastern people .The topic stems from his treatment of orientalist models in their handling and by comparing them to the Islamic vision . The problem of research boils down to a major question followed by sub-questions as follows: What do we mean by orientalism? What are its means, stages and objectives that the approach taken by the researcher in writing this research is the analytical and comparative approach .

مقدمة :

تحتل الدراسات الاستشرافية حيزاً واسعاً في مجال الدراسات الإسلامية . ولهذه الدراسات أهميتها وثقلها العلمي في الدوائر العلمية، بحيث لا تكاد في الغالب تخلو دراسة علمية من الإشارة إليها . ولقد عملت هذه الدراسات منذ وقت مبكر على تشكيل العقل الغربي، وتحديد موقفه تجاه الإسلام، بحيث يمكن القول بأن الموقف الغربي العدائي تجاه الإسلام هو في نهاية المطاف موقف الاستشراق ، ذاته من الإسلام . يضاف إلي أن هذه الدراسات الاستشرافية عملت على تشكيل عقلية الصفوة العلمية في العالم الإسلامي من خلال الابتعاث للجامعات الغربية، مما أدى لاستمرار النسق المعرفي الاستشراقي. فضلاً عن أن ترجمة الدراسات الاستشرافية إلى العربية واللغات المحلية في العالم الإسلامي أحدثت تأثيراً فكرياً أدى في النهاية لإحداث انقسام في الشخصية المسلمة، نظراً لاهتزاز ثوابتها الدينية. عرف البعض الاستشراق ، بأنه ((ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما)). ومن الصعوبة بمكان وضع حد فاصل وواضح بين الاستشراق ، والتبشير والاستعمار ؛ إذ إن الاستشراق ، يمثل الوليد الطبيعي للثقافة التي تنتجها، فالمفكر إلى حد بعيد رهين بالثقافة التي ينشأ فيها وليس وليداً للموضوع المدروس أو المطروح، باعتباره صاحب الحق الأول في الاهتمام والدراسة. لذلك لا يستطيع أي مستشرق أن يتناول موضوعاته دون أن يخضع للقوالب والحدود الفكرية والعلمية المفروضة عليه مسبقاً، بسبب من ثقافته التي يصعب عليه الانفلات منها .

فالاستشراق هو دراسة كافة البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربي، وتستخدم كلمة الاستشراق ، أيضاً لتدليل تقليد أو تصوير جانب من الحضارات الشرقية لدى الرواة والفنانين في الغرب. المعنى الأخير هو معنى مهمل ونادر استخدامه، والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر. لذلك صارت كلمة الاستشراق ، تدل على المفهوم السلبي وتنطوي على التفسير المضرة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين. وجهة النظر هذه مبينة في كتاب إدوارد سعيد (الاستشراق) المنشور سنة (1978)

فضلاً أنها احدي محددات المؤتمر ؛ نجد ان الدراسات الاستشرافية كانت لها شهرتها في الدوائر الاكاديمية ؛ بحيث انها عملت علي تأهيل أجيال

عديدة من أبناء المسلمين وفق نسقها المعرفي ؛ الخاضع في نشأته وتطوره ومناهجه الي ما حدث في الغرب من تطور في العلوم ومناهجها ؛ فظهرت دراسات خطيرة وجدت لها موطئ قدم في مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في العالم الإسلامي ومريدين ؛ لذلك فأن لهذه الدراسات ونقدها سيؤدي الي تحصين العقل المسلم في مجال يرتبط أشد الارتباط بعقيدته وهويته .

فتصويب الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء المستشرقين في تناولهم لمعطيات الدين الإسلامي وتفسير وقائعها والرد على أخطائهم ردا علميا وموضوعيا مقارنة بالرؤية الإسلامية بالإضافة لابرار ما أنطوت عليه دراسات بعض المستشرقين من تعصب ديني وعنصري كان أحد اسباب اختياري لهذا الموضوع .

تعريف الاستشراق ، :-

هناك من يرى أن الاستشراق ، هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي وكلمة مستشرق بالمعني العام تطلق على كل عالم غربي يشغل بدراسة الشرق أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه ⁽¹⁾ الاستشراق، دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتي تاريخه وثقافته وأديانه ولغاته ونظمه الاجتماعية والسياسية وثرواته وإمكاناته من منطلق التفوق العنصري والثقافي بهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية⁽²⁾

من الباحثين من يرى أن مصطلح الاستشراق ، مصطلح غامض وفي غاية الإبهام لأن الشرق اصطلاح ابتدعه أوربا لكل أرض الشرق التي تقع وراء حدودها شرقاً إلى اليابان بيد أن هذا المصطلح بدأ يتزحزح عبر القرون في مفهومه العام والغامض على الشرق الأوسط فقط وما في هذا الشرق من أديان (عدا النصرانية لأن الفكر الأوربي لا يحب ربطها بالشرق) وثقافات وحضارات مختلفة، والباحث في أي فرع من فروع المعرفة التي تتعلق بقريب أو بعيد بهذا الشرق يسمى (مستشرق) بالرغم من رفض الكثير من هؤلاء لهذا المصطلح⁽³⁾

أيضا يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق أحواله وتاريخه ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي

ومن الكتاب من يرى أن الاستشراق ، قوة ضد الإسلام والمسلمين، منهم من يرى أن الاستشراق ، كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث العلمي وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد وجمهرة المستشرقين

مستأجرون لإهانة الإسلام والإفتراء عليه⁽⁴⁾ وهناك من يرى أن الفكر الاستشراقي يمثل قوة باغية من القوى المضادة للإسلام والمسلمين وينسحب هذا الفكر علي كل فكر غربي أو حتي شرقي غير إسلامي عرض لتراث الشرق الديني والحضاري وبخاصة الشرق الإسلامي بالدراسة والبحث⁽⁵⁾ إن كلمة الاستشراق ، أطلقت على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأديانهم وتاريخهم وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك⁽⁶⁾

هذا استعراض لبعض التعريفات عن الاستشراق ، ولكن الاستشراق، في حقيقة الأمر يشتمل علي عناصر إيجابية وأخرى سلبية وعلينا الاعتراف للمستشرقين بما لهم من ايجابيات وفي المقابل من واجبنا أن ننبه إلى ما وقعوا فيه من أخطاء وما اشتملت عليه دراسات العديد منهم من أباطيل فيما يتعلق بالقرآن الكريم ونبينا محمد ﷺ.

نشأة الاستشراق ، ومراحله ووسائله

إن بدايات الاستشراق ، من الصعب تحديد فترة زمنية معينة، إذ إن البعض يعود به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس. في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين. ولكن من المتفق عليه أن الاستشراق ، اللاهوتي الرسمي قد بدأ وجوده حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي سنة 1312م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.⁽⁷⁾ من أبرز المراحل التي يُقسَّم إليها الاستشراق ، ما ذهب إليه الدكتور المبروك المنصوري في كتابه «الدراسات الدينيّة المعاصرة من المركزيّة الغربيّة إلى النّسبيّة الثقافيّة: الاستشراق، القرآن، الهوية والقيم الدينيّة»، إذ قسّم الاستشراق ، إلى ثلاث مراحل أساسيّة هي: الاستشراق ، الاستعماري (colonial orientalism) ويشمل كل ما أنتج من بداية تشكل هذا التوجه مع الحركة الرومانسية الغربية إلى حوالي 1960م. ثم الاستشراق ، ما بعد الاستعمار (post colonial orientalism) وهو التوجه الذي تشكل في المرحلة ما بعد الاستعمارية، ويرتكز أساساً على الجانب الثقافي واللغوي وقد تلبس لبوساً جديداً. ثم الاستشراق ، الجديد (new orientalism) وهو التيار الذي تشكل في بداية هذا القرن، وقد دشنه كريستوف لكسنبرغ بكتابة القراءة السريانية الآرامية للقرآن.⁽⁸⁾ ويبدو أن الاستشراق ، قد قام في البداية على جهود فردية لم تكن ذات تأثير على مجرى التفكير الغربي، مما أدى إلى عدم اتخاذها نقطة بداية للاستشراق لدى بعض الباحثين. ومن ثم فإن اعتبار الحروب الصليبية- التي بدأت التعبئة لها في مجمع كيلرمونت سنة 1095م على عهد البابا أوربان الثاني ((1099- 1088)) - هي البداية الحقيقية للاستشراق ترجع في الأساس إلى أن الاستشراق ،

قد تبلور كتيار فكري عام، إذ أن الاحتكاك بالمسلمين يفرض على العالم الغربي المسيحي التعرف على العالم الإسلامي ودراسته. ولعل طبيعة المرحلة الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين، قد أدت إلى إفراز بنية عدائية المنهج في تعاملها مع الإسلام، جرد المستشرقين من الموضوعية والأمانة العلمية، وبحيث استمرت هذه الدراسات تغذي الأجيال اللاحقة من المستشرقين.⁽⁹⁾

وسائل الاستشراق ، :-⁽¹⁰⁾

1. إصدار المجلات المتخصصة
2. إصدار الموسوعات الإسلامية بعدة لغات
3. نشر المقالات في الصحف والمجلات العربية
4. اكتساب عضوية مجامع اللغة العربية
5. إلقاء المحاضرات
6. تطبيع الفكر الاستشراقي وذلك من خلال إيجاد كوادر محلية تتبنى الأطروحات الإستشراقية حيث يتم تعليم هذه الكوادر علي أيدي المستشرقين في الجامعات المحلية أو أقسام الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الغربية

أهداف الاستشراق

واقع الحال الآن شاهد على ما فعله الاستشراق ، في العالم الإسلامي، إذ تعددت دول العالم الإسلامي وتعددت وحداته السياسية بعد أن كانت دولة واحدة من طنجا غربا إلى جاكرتا شرقا . لذا نجد أن أخطر أهداف على الأمة الإسلامية تحويل المسلمين عن دينهم ووحدتهم وتقطيع أوصال جماعتهم الإنسانية الكبرى إلى وحدات صغرى متقاطعة ومتنافرة يجافي بعضها بعضا وتقاتل بعضها

إن أهداف الاستشراق ، متعددة ومتداخلة ولكن أهمها الدافع الاقتصادي ومنها الدافع الاستعماري ومنها الدافع الديني ثم الدافع العلمي والدافع السياسي ونجملها في الآتي⁽¹¹⁾

أولا : الأهداف السياسية والاستعمارية

عمل الاستعمار على تعزيز موقف الاستشراق، واستفاد الاستعمار كثيرا من التراث الاستشراقي، وقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطانه في البلدان المستعمرة، وهكذا نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق ، والاستعمار. وعمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وكقناصل وتجسسوا على المسلمين ولقد كانت هناك علاقة وثيقة بين رجال السياسة والمستشرقين إذ كان رجال السياسة

يرجعون إليهم قبل اتخاذ قراراتهم المهمة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية. وكان بعض المستشرقين يؤسس صداقة بالبارزين من رجال الأمة العربية، ويتخذ من هذه الصلات ستارا يقوم من ورائه بأعمال التجسس في أثناء الحرب. ومهما يكن من أمر فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة الدليل للاستعمار لفرض سيطرته علي الشرق. ولعل واقع الممارسات الاستشراقية في العالم الإسلامي يوضح الي حد بعيد ضلوع الاستشراق، في خدمة المخططات الاستعمارية، إذ عمل الاستشراق، على إحياء النزعات العصبية، وعمل علي إثارة الخلافات المذهبية والفقهية لأجل إثارة الفتن بين المسلمين لخدمة المخططات الاستعمارية وبحيث يؤدي في خاتمة المطاف الي إضعاف العالم الإسلامي وتكبيله بقيود التبعية للعالم الغربي، مما أدى الي أن يشوه الاستشراق، للشخصية المسلمة أمام نفسها وأمام العالم الغربي .

غير أن بعض الباحثين المسلمين يرى أن من قصر النظر والفهم اعتبار الاستشراق، مرتبطا بالاستعمار والتبشير، لأنك لا تكاد تجد بحثا عن الاستشراق، لا يرجع الاستشراق، الي الاستعمار والتنصير والمكر والصراع، وما شابه ذلك من كلمات تخرجه عن المنهج العلمي، الذي يدعيه المؤلف، ويرجوه القارئ، وكأن الاستعمار والتنصير⁽¹²⁾ والمكر لم يكن لها وجود قبل ظهور الإسلام، أو كأن الاستشراق، لا عمل له ولا هدف سوى الكيد للإسلام، فترادف في مفهومنا مصطلح الاستشراق، مع الكفر والعداء والصهيونية والماسونية. هذا الفهم القاصر للاستشراق سهل لنا تعليق كل أسباب انحطاطنا وتخلفنا علي هذا المشجب متعدد الألوان، وحدد لنا مسبقا أساليب بحثنا فيه، والتي أبعدت كثيرا من الأبحاث عن الموضوعية العلمية ... إن من ينكر علاقة الاستشراق، بكل ما ينسب إليه في كتاباتنا، الإستعمار والتنصير في مقدمتها يرتكب خطأ لا شك فيه، ولكن من يقصر الاستشراق، علي كونه مساعدا للاستعمار والتنصير لا يقل خطأه عن الأول . فالاستشراق وإن كان قد نشأ بالفعل في أحضان الكنيسة، وكان الكيد للإسلام أهم أهدافه، إلا أن هذه النشأة الأولى قد فقدت كثيرا من تأثيرها علي تطور هذا العلم، حتى أنه قد وصل هذا التأثير إلى مرحلة في غاية الضآلة .⁽¹³⁾

ومهما يكن من أمر فلا يمكن إنكار تأثير البيئة والمحيط الثقافي علي المستشرقين، وهذه البيئة وذلك المحيط الثقافي يتسم بالعداء للإسلام، فلا يستطيع المستشرق - مهما بذل من حيادية وموضوعية - أن يجد فكاكا أو تحولا عن ما ورثه من آبائه .

ثانيا : الأهداف الدينية

إن مراجعة قائمة أسماء أعلام المستشرقين تجعل من السهل إدراك الرؤية الكنسية للإستشراق وأهمية الدافع الديني له، إذ أن هؤلاء الأعلام هم في الأساس من آباء الكنيسة وتلامذتهم، فأدى هذا إلى أن تظل الرؤية الاستشراقية ثابتة من حيث (الكيف) رغم تطورهما من حيث (الكم) . وعلي الرغم من أن الاستشراق ، قد بدأ يتخفف في القرن الثامن عشر الميلادي من ضغط الكنيسة، إلا أن صورة الإسلام المشوهة بفعل الاستشراق ، اللاهوتي لم تتغير في أذهان الغربيين حتي الآن . وإذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهرا الآن في الكتابات الإستشراقية، فليس معني ذلك أنه قد إختفي تماما، إنه لا يزال يعمل من وراء ستار، لانه من الصعب على معظم المستشرقين النصاري المشتغلين بدراسة الإسلام _ وأكثرهم متدينون _ أن ينسوا أنهم يدرسون دينا ينكر عقائد أساسية في النصرانية ويهاجمها ويفندها، مثل عقيدة التثليث، وعقيدة الصلب والفداء. كما أنه من الصعب عليهم أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها . لذلك فإن فهم الاستشراق ، لا يتم إلا من خلال فهم جذوره الكنسية وبيئة المستشرق _ التي هي في الأساس مسيحية _ وإسقاطاتها على وعيه .⁽¹⁴⁾ لقد برز الاستشراق ، منذ البداية بقصد إيقاف التأثير الإسلامي في العالم الغربي، ثم تطور ليخدم مشروع تنصير المسلمين . ولقد كان هدف الاستشراق ، منذ نشأته خدمة الكنيسة والاستعمار . وحسبما يرى بعض الباحثين فإن الاستشراق ، قد بدأ بنشاط الرهبان في مجال الترجمة، حيث توجهت البعثات العلمية إلى الأندلس وتمت ترجمة القرآن إلى اللاتينية، فكان لا بد من معرفة الإسلام معرفة جيدة لمحاربته محاربة جيدة على مستوى العقيدة، وانكب المفسرون المسيحيون علي ترجمة القرآن ودراسته من أجل نقده ⁽¹⁵⁾

وإمتد النفوذ الكنسي علي الاستشراق ، حتي وصل إلى المعاهد العلمية. فمثلا قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبيردج عام 1636م نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجاري، والآخر تنصيري . ونتيجة لهذا التأثير الكنسي على الباحثين المستشرقين، فإن دوافعهم تظل غير بريئة . وكانت الكنيسة ذاتها تشعر بمرارة حقيقية تجاه المد الإسلامي حتى استولى المسلمون الأتراك على القسطنطينية وجعلوها عاصمة الامبراطورية البيزنطية عام 1453م، لذلك لم يكن غريبا أن تشن الكنيسة علي الإسلام حروب دينية إنتقامية فكانت الحروب الصليبية المشهورة، وحملات الإسترداد المسيحي في أسبانيا والتي انتهت بطرد آخر حكام بني نصر من قشتالة عام 1492م .

وأما علي الجانب الفكري فقد اتخذت الكنيسة من الاستشراق ، أداة للطعن في الإسلام، فجاءت المحصلة النهائية للاستشراق وليدة كراهية شديدة للإسلام.⁽¹⁶⁾

ثالثا: الأهداف العلمية

قليل من المستشرقين أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع من حب العلم والاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم، بل منهم من اهتم بدراسته للإسلام وآمن برسالته . وهؤلاء لا يجدون إلا حين يكون لديهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق ، بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند الباحثين لذلك فهي لا تدر عليهم مكاسب ومغانم وطبيعي أن يندر وجود هذه الفئة في أوساط الحركة الاستشراقية⁽¹⁷⁾

رابعا: الأهداف الاقتصادية

من الأهداف والدوافع الاقتصادية التي أغرت المستشرقين علي الدراسات الاستشراقية رغبتهم بغزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا هدفهم الاستيلاء على الثروات الأرضية واستغلال الموارد الطبيعية وعلي الأسواق التجارية لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تنتجه المصانع الغربية من السلع الأولية التي حصلوا عليها من غزو هذه البلاد .⁽¹⁸⁾ :الرؤية الإستشراقية تجاه النبي (ﷺ) ودعوته . باتت هذه الرؤية الاستشراقية تجاه نبينا الكريم في الأندلس منذ احتكاك المسلمين بالمسيحيين، ومنها تطورت، في البداية كانت الرؤية عدائية وكان هذا التطور في الشكل دون الفهم للإسلام ومضمونه ، وقد أخذت الدعاية الكبرى في العصور الوسطى تعمل على تثبيت فكرة العدو الأكبر في الأذهان، حتى إذا ما حل القرن الحادي عشر كانت للأفكار الخرافية المتعلقة بالإسلام والمسلمين تأثير يؤسف له، منها اتهام النبي في العصور الوسطى بالخداع وعدم الوفاء والأوهام والأباطيل حالت زمنا طويلا دون درس مصادر الإسلام في أوروبا دراسة علمية حتي جاء القرن التاسع عشر والقرن العشرين حيث تناول فيها عدد من علماء الغرب بحوثهم عن النبي والإسلام، كانت أبحاثهم وكتبهم عامل هدم حيث غالى بعضهم في نقد الإسلام.⁽¹⁹⁾

تكاد الرؤى الإستشراقية علي مر العصور تتفق علي أن الإسلام تركيب ملفق من المسيحية واليهودية والمجوسية، هذا إذا كان المستشرق يحاول أن يظهر حياديته ونزاهته العلمية أنثال وات وبروكلمان . أما إذا انساق المستشرق وراء عواطفه أو المؤثرات الضاغطة على وعيه (وهم كثر) فإنه حينها لا يكتب دراسة علمية جادة عن الإسلام، وإنما يكتب سبابا لا داعي لسردها⁽²⁰⁾ فالمستشرق حينما يكتب عن الإسلام أو النبي فإنه لا يكتب ليثبت الحقيقة، وإنما يكتب

لإثبات أشياء آمن بها سلفاً . إذ إن المستشرق اللاهوتي مثلاً الذي لا يؤمن إلا بالمسيحية، يجعل من هذه المسيحية مرتكزاً يتوكأ عليه لدراسة الإسلام، فإذا وجد تشابهاً اتخذ دليلًا على اقتباس الإسلام لأفكاره من المسيحية، بدلاً من أن يكون التشابه دليلًا على صدق الإسلام ذاته . لذا نجد أن الفكرة المسبقة التي يؤمن بها المستشرق في موضوع دراسة الأديان هي أن الإسلام مجرد تلفيقات خليطة من المسيحية واليهودية وغيرها من الأديان⁽²¹⁾ وحينما تمرد مفكرو أوروبا على الكنيسة، حاولوا أن يطبقوا نفس المناهج المادية والعلمانية وغيرها من المناهج في دراستهم للإسلام، دون وضع اعتبار لاختلاف ظروف الزمان والمكان واختلاف العوامل البيئية والاجتماعية والسياسية، مما أدى في النهاية إلى أن تأتي المحصلة النهائية للاستشراق ضعيفة بل ومخطئة⁽²²⁾

نخرج بنتيجة مفادها أن علماء المسلمين قديماً وحديثاً يتحملون إلى حد ما قدراً من المسؤولية في بروز الانحراف الاستشراقي واستمراريته، ولعل ما يوضح مسؤولية علماء المسلمين في العصر الحاضر في استمرارية الخلل الاستشراقي في مجال الدراسات الإسلامية أنهم تركوا الساحة الفكرية للمستشرقين يدرسون في جامعات العالم الإسلامي، ويجمعون المخطوطات العربية، ويحققونها ثم ينشرونها، بل ويكتبون تاريخ الأدب العربي، ودائرة المعارف الإسلامية والمعاجم . وبمعنى آخر

فإن الفكر الاستشراقي بعد أن شكل العقلية الغربية، وحدد موقفها تجاه الإسلام (وهو موقف عدائي) يتجه بالآليات لتشكيل العقل المسلم ذاته، ليحدد موقفه هو الآخر تجاه الإسلام من خلال توطين الاستشراق ، في العالم الإسلامي⁽²³⁾.

ولقد بدأ توطين الاستشراق ، بالفعل في العالم الإسلامي منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولا أخال أن تسمية المنطقة بالشرق الأوسط، ومشروع الشرق الأوسط الكبير، والربيع العربي، وصفقة القرن وخلافه إلى إحدى نتائج الدراسات الاستشراقية .⁽²⁴⁾

الخاتمة :

نختم بأن البحث يسلط الضوء على الدراسات الاستشراقية، وبيان موقفها من الإسلام، وبيان نقاط الالتقاء والاختلاف بين تلك الدراسات والإسلام فكرياً وتشريعياً وعقيدةً وسلوكاً و الوقوف على طرق وأهداف تأثير المستشرقين في تكوين الرأي العام الغربي عن الدين الإسلامي والشعوب الإسلامية. و إبراز عناية المستشرقين بمخطوطات التراث الإسلامي وجمعها ودراستها دراسة توضح مدى تأثير الكتابات الاستشراقية بلغاتها الأصلية في تشكيل الرأي العام الغربي عن الإسلام و المسلمين سلباً وإيجاباً . إن الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون في تناولهم لمعطيات الدين الإسلامي والكيفية التي نما بها الانحراف الاستشراقي في الوقت الذي كان فيه للإسلام وجود فاعل في الساحة الأوروبية حتى أن استمر الطرح الاستشراقي حتى وقتنا الحاضر. وختمت البحث بطائفة من النتائج والتوصيات والمراجع.

النتائج

1. إنَّ الذين جاءوا لدراسة الشرق كانوا أفراداً متفاوتين، فمنهم من جاء بلباس عسكري أو غير عسكري، أو بصفة أطباء أو معلّمين، لكنّهم في حقيقة الأمر قساوسة كان هدفهم التنصير بالدين المسيحي، وكانوا يتردّدون بكثرة على لبنان وسورية ومصر. ظلّت حركة الاستشراق، موضع شكّ لدى الكثير، وبسبب هذا الغموض انقسم الناس نحوها إلى فريقين: الأول: ينظر إلى المستشرقين بعين الاحترام. والثاني: ينظر إليه على العكس من ذلك، لأنّه كان من بينهم أناس مهّدوا للاستعمار الغربي، وكانوا أداة لتسلّط الغرب على الشرق، كما لا يخفى أنّ منهم جماعة دفعهم شوق التعرّف على الشرق وأسراره، وتحملوا في سبيل ذلك كثيراً من الصعوبات والمشاق. وعلى أيّ حال مهما كانت الأغراض والدوافع التي دفعت للاستشراق، فإنّ الاستشراق، شيء، والمستشرقين شيء آخر يعتبر الاستشراق، حديث الظهور إلّا أنّ معرفة الشرق وما يتعلّق به من أفكار فذلك يعود إلى الأزمان الغابرة، ويؤيّد ذلك ما عثر عليه في التنقيبات من النقوش الأثرية على الأحجار، ثمّ تلت ذلك حركة الاستشراق ، في القرون الوسطى، لتؤكّد ذلك من خلال الوقائع التاريخية والنصوص الجغرافية، وكتب الأسفار وغيرها
3. الاستشراق ، حلقة من حلقات الحرب ضد الإسلام
4. تكمن خطورة المؤسسات الاستشراقية في أنّها تعمل عمل السوس لهدم روح وكيان المجتمع الإسلامي، وهي تحاول أن تفسد الأفكار الإسلامية واستبدالها بالأفكار الغربية بغية تغريب المجتمع الإسلامي فكرياً وثقافياً وتفرغ المجتمع الإسلامي من أهم مقوماته الفكرية، وعندما تهزم أفكار المجتمع الإسلامي ويظل المجتمع الإسلامي يزهد في أفكاره، فبالتالي عدم الوحدة الفكرية يؤدي إلى عدم الوحدة العضوية التي هي روح المسلمين.

التوصيات

1. سيظل المستشرقون يؤثرون علي مجري التفكير الغربي في تعامله مع الإسلام والمسلمين من خلال فرض مناهجه ونسقه المعرفي ونوصي الانتباه والجاهزية للمؤسسات الإسلامية من ناحية التفكير والمناهج والنسق المعرفي
2. نوصي بوحدة المسلمين العضوية لأنها هي الحماية الوحيدة لهم ضد أي هجمات استعمارية أو امبريالية أو استشراقية
3. إن الاستشراق، ما كان ليظهر وينمو لولا عجز المسلمين أنفسهم عن الوصول إلي العقل الغربي ومحاولة تشكيله وفق النسق المعرفي الإسلامي الصحيح، أو علي أسوأ الفروض تحييد موقفه تجاه الإسلام .
4. يقع العبء الأكبر في التصدي لمخططات الاستشراق، على أقسام الدراسات الإسلامية بالجامعات وعلى المفكرين الإسلاميين، ولن يتأتى ذلك إلّا من خلال الاهتمام بالاستشراق ذاته، والاهتمام باللغات الأجنبية والترجمات باعتبارها وسيلة الاتصال المهمة.
5. علي وزارات التعليم العالي في الدول العربية والإسلامية وعبر أقسام الدراسات الإسلامية في جامعاتها علاج قصور مناهجها في التعليم وعليها أن ترتفع إلى مستوى التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية وإلا ستظل هذه الأمة في حالة التبعية والارتهان للآخرين

المصادر والمراجع:

- (1) د.محمود حمدي زقزوق، الاستشراق ، والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 18
- (2) د. أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق،المنتدي الإسلامي لندن1411هـ، ص 25
- (3) الشيخ محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين، دار الإهرام، 1395هـ، ص 21
- (4) د. محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1995م، ص 36
- (5) د. عبد الرحمن حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة، ط2، دار القلم، دمشق، 1980م، ص 83
- (6) الدكتور المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية الى النسبية الثقافية، دار النشر، القاهرة، 2008م، ص 29
- (7) عبد محمد الأمين النعيم، الاستشراق ، في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 1997م، 23
- (8) د.محمد موسي البر، التنصير،الاستشراق، الاستعمار والصهيونية العالمية،مطابع السودان للعملة،الخرطوم، بدون ،ص200
- (9) عبد الله محمد الأمين النعيم، مرجع سابق، ص26
- (10) عبد الله محمد الأمين النعيم، المرجع السابق، ص21
- (11) إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب ،مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981م، ص 146
- (12) دكتور عبد العظيم الديب، المنهج في كتاب الغربيين عن التاريخ الإسلامي ،مطابع مؤسسة الخليج،قطر، 1411م ص 32
- (13) جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الأولى، دار طيبة للطباعة، مكتبة النافذة، القاهرة، 2009م .
- (14) دكتور جعفر شيخ إدريس، نبوة محمد في منهج مونتغمري، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1998م، ص 34
- (15) دكتور عماد الدين خليل، منهج مونتغمري وات في دراسة السيرة، دار الفكر، 2006م، ص 27
- (16) دكتور عبد الهادي أبوريد، تعليقات علي آراء فلهاوزن، دار الشروق، 2008م، ص 19
- (17) الشيخ حسن حامد، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، معهد الإنماء العربي بيروت 1986م، ص 11
- (18) د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، القاهرة، 1978م، ص 42

- (19) محمد أبوزهرة، أصول الفقه، دار الفكر، القاهرة، بدون تاريخ، ص 34
- (20) 20- دكتور عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، الكويت، 1986م، ص 18
- (21) دكتور يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 1990م، ص 39
- (22) دكتور عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص 56
- (23) عبد الكريم علي الباز، إفتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان علي التاريخ الإسلامي، رسالة ماجستير لجامعة أم القري، ص 72
- (24) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية، 1949م، ص 102
- (25) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، الإدارة العامة للثقافة بالأزهر، 1981م، ص 16
- (26) د. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مجلد 3، دار العلم، بيروت، 1975م، ص 69